جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالديدامون – شرقية

الوسطية في الإسلام: المفهوم والمظاهر والضوابط.

إعداد

الدكتور: أنس بو سلام

باحث بسلك الدكتوراه بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ عين الشق – جامعة الحسن الثاني ـ الدار البيضاء – المغرب، ومفتش تربوي للتعليم الثانوي – وزارة التربية الوطنية بالمغرب.

المؤتمر العلمي الدولي الأول

١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م

الوسطية في الإسلام: المفهوم والمظاهر والضوابط.

أنس بو سلام

كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الحسن الثاني

المدينة: الدار البيضاء الدولة: المغرب

الملخص

يعالج المقال مفهوم الوسطية في الإسلام ومعانيها مثل العدل والاستقامة والأمان والقوة والخيرية والبينية واليسر ورفع الحرج والحكمة، ثم يوضح المقال مظاهر الوسطية في الإسلام، كالوسطية في العقيدة ووسطيته في الشريعة ووسطيته في الأخلاق والمعاملات وكذا في منهج الدعوة، وأخيرا يحدد المقال ضوابط هذه الوسطية.

الكلمات المفتاحية: الوسطية في الإسلام – مظاهر الوسطية في الإسلام – ضوابط الوسطية في الإسلام.

Moderation in Islam: Concept, Appearances and Controls.

Anas Bou Salam

Faculty of Arts and Humanities Hassan althaaniUniversity

City:White House Country: Morocco

Abstract

The article deals with the concept of moderation in Islam and its meanings, such as justice, integrity, safety, strength and wisdom. The article then explains the manifestations of moderation in Islam, such as the moderation of Islam in belief, in Sharia, morals and transactions, as well as in the approach to calling, and finally, clarifying the controls of this moderation.

Keywords: moderation in Islam – manifestations of moderation in Islam – controls of moderation in Islam.

مقدمة

إن الإسلام هو دين الوسطية والاعتدال في كل شيء، وفي سائر العلاقات، في العبادات والعادات والمعاملات، وفي سائر الأحوال، والوسطية هي منهج رباني راق يؤسس لكافة العلاقات على مبدأ التوازن والاعتدال. ولهذا، فإن هذا المفهوم يختزن دلالات ومعاني عديدة، كما يتخذ مظاهر تشمل مختلف مكونات الإسلام: عقيدةً وشريعةً وغيرهما، ويبقى نهج الوسطية رهين التزام جملة من الضوابط.

١- مفهوم الوسطية

الإسلام دين الوسطية، ولقد شاء الله سبحانه وتعالى أن تكون هذه الوسطية: جَعْلاً إلهيا، وليس اختيارا من خيارات المؤمنين بالإسلام، فقال تعالى: "وكذلك جعلناكم أمّة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا"[١].

وقد جعلت هذه الآية الكريمة الوسطية علة وسببا يترتب عليه اتخاذ الأمة الإسلامية موقع الشهود على الناس، بما فيهم من أمم وشعوب وملل ورسالات وثقافات وحضارات.

وذلك التعليل وثيق الصلة بمعنى "الوسطية"، ومعنى "الشهود"؛ فالوسط: هو السَّواء والعدل، والعدل هو الشرط المؤهِّل للشهادة والشهود على الناس.

ولأن هذه الأمة الخاتمة قد آمنت بكلِّ النبوات والرسالات والكتب السماوية، كانت وحدها المؤهلة للشهادة على الناس، وعلى تبليغ كلِّ الرسل رسالاتهم إلى أمم هذه الرسالات.

إن الوسطية في الإسلام وسطية جامعة، تمثل موقفا ثالثا بين القطبين المتقابلين والمتناقضين، لكنها لا تغاير هذين القطبين مغايرة تامة، وإنما تجمع منهما عناصرَ الحق والعدل؛ لتكوِّن منها وبها هذا الموقف الوسطي الجديد، فهي في حقيقتها رفضٌ للغلوّ الذي ينحاز إلى قطب واحد من هذين القطبين: غلو الإفراط أو غلو التفريط.

---

[١]- سورة البقرة، الآية ١٤٣.

فوسطية الإسلام الرافضة للغلو المادي والغلو الروحي هي وسطية لا تغير المادة والمادية، ولا الروح والروحانية كلية، وإنما هي الوسطية الجامعة لعناصر الحق والعدل من المادية والروحانية جميعا، على النحو الذي يوازن توازن العدل بينهما؛ ولذلك فإنها تصوغ الإنسان الوسط: راهب الليل وفارس النهار، الجامع بين الفردية والجماعية، بين الدنيا والآخرة، بين التبتل للخالق والاستمتاع بطيبات وجماليات الحياة التي خلقها الله وسخرها لهذا الإنسان.

الوسطية هي الاعتدال في كل أمور الحياة من تصورات ومناهج ومواقف، وهي تحر متواصل للصواب في التوجهات والاختيارات، فالوسطية ليست مجرد موقف بين التشدد والانحلال؛ بل هي منهج فكري وموقف أخلاقي وسلوكي، ومرجع الوسطية إلى الشرع، فما وافق الشرع فهو الوسط، فالتشدد في محله وسطية والرفق في محله وسطا كذلك. والوسط يفيد معنى البعد عن الإفراط والتفريط، والزيادة على المطلوب في الأمر إفراط والنقص عنه تفريط، وكلٌّ من الإفراط والتفريط ميل عن الجادة القويمة؛ فهو شر ومذموم، والخيار هو الوسط بين طرفي الأمر، أي المتوسط بينهما؛ ولذلك يقول القرطبي: "لما كان الوسط مجانبا للغلو والتقصير كان محمودا"[1].

الوسط ما كان بين طرفين فهذه الأمة بين طرفين من الأمم طرف الغلو الذي في النصارى وطرف التساهل الذي كان باليهود فهذه الأمة وسط غلو النصارى وتساهل وانفلات اليهود.

ويجب علينا إذا أنكرنا التطرف والغلو يجب علينا أن ننكر، أيضا، التساهل والتفريط أما أن نركز على جانب ونهمل الجانب الآخر وقد يكون أخطر. والملاحظ أن الإنكار كله على الغلو والتطرف وهذا صحيح. نعم ننكر التطرف والغلو لكن يجب أن لا ننسى التساهل والانحلال والإلحاد. إذ يجب التحذير من الإفراط ومن التفريط وتحري الاعتدال عملا بقوله سبحانه وتعالى: "وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله"[2]، فصراط الله واحد وطريقه واحد وأما ما عداه من المذاهب والنحل فهي متعددة وكثيرة ولا تحصى وهي تكون في إفراط أو في تفريط، فالإفراط

---

[1]- الشرباصي، أحمد، موسوعة الأخلاق، الجزء الثاني، دار الرائد العربي، بيروت، د. ت، ص ٩٩.

[2]- سورة الأنعام، الآية ١٥٣.

يكون في الغلو والتفريط يكون في التساهل وهذه السبل التي حذرنا الله منها هي من الجانبين سهل الغلو والتطرف والزيادة وسبل التساهل والضياع، فقال عز وجل: "فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا"[1]، أمر بالاستقامة ونهاهم عن الغلو وقال ولا تطغوا والطغيان هو الخروج عن الحد من جانب الزيادة وقال: "فاستقيموا إليه واستغفروه"[2]، استغفروه عن أي شيء عن التقصير استقم واحذر من التقصير وإذا حصل تقصير فاجبُره بالاستغفار فدل على أنه يحصل من الإنسان تقصير بالاستقامة فيجبره بالاستغفار. والإسلام دعا إلى التسديد والمقاربة، ومعنى التسديد إصابة الحق والمقاربة أن تكون مقاربا للتسديد، فإذا كان الخطأ يسيرا فهذه مقاربة تجبر بالاستغفار والتوبة إلى الله عز وجل وديننا دين السماحة ورفع الحرج، "وما جعل عليكم في الدين من حرج"[3]، فالله جل وعلا جعل هذا الدين سمحا ولم يجعل فيه حرجا ولم يكلفنا ما لا نطيق ولذلك فإن من يخرج عن هذه الجادة جادة الوسط فإنه يقع في أحد الجانبين غما الإفراط وإما التفريط وكلاهما مذموم ولا يسلم إلا من كان على طريق الوسط الذي أمر الله به وكما في آخر سورة الفاتحة الله أمرنا أن نقرأها بكل ركعة "اهدنا الصراط المستقيم"[4]: أي المعتدل الوسط "صراط الذين أنعمت عليهم"[5]، وهم الذين ذكرهم الله في قوله: "ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا"[6]. أمرنا الله أن نكون معهم وأن نسير معهم وإذا كنت معهم فلن تستوحش أبدا، إنما يستوحش من لم تكن معهم إما جانب الإفراط مع الغالين وإما في جانب التفريط مع المتساهلين. ونحن نسمع الآن كثيرا التسامح والحث على التسامح والترغيب في التسامح، فهذا فيه

---

[1]- سورة هود، الآية ١١٢.

[2]- سورة فصلت، الآية ٦.

[3]- سورة الحج، الآية ٧٨.

[4]- سورة الفاتحة، الآية ٦.

[5]- سورة الفاتحة، الآية ٧.

[6]- سورة النساء، الآية ٦٩.

إجمال؛ لأن التسامح إن كان يعني أنك تتسامح في حقوقك بأن تعفو عن من ظلمك وتحسن إلى من أساء إليك فهو التسامح المحمود والمطلوب. أما أن تتسامح في شيء من حقوق الله فهذا لا يجوز. والنبي صلى الله عليه وسلم كان يؤذى في حقه صلى الله عليه وسلم وكان يعفو، لكن إذا انتهكت حرمات الله، فإنه يغضب لله عز وجل ولا يتسامح في شيء من ذلك؛ لأن التسامح لا يكون في حقوق الله جل وعلا وإنما يكون في حق المخلوق.

كثير الآن من يريد منك ألا تتسامح في حقوق الله وهذا خلاف ما أمر الله عز وجل به، فحقوق الله لا يتسامح عن شيء منها مع أحد كائنا من كان؛ لأن هذا هو المداهنة، قال تعالى: "ودوا لو تدهن فيدهنون"[1]، وقال: "وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذاً لاتخذوك خليلا. ولولا أن ثبّتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا. إذَا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا"[2]. وقد نهى الله رسوله وتوعده أن يتنازل عن شيء من هذا الدين لأجل إرضاء الناس لأنك لو تنازلت عن شيء من دينك أو عن دينك رضوا عنك لكن يسخط الله عليك والنبي صلى الله عليه وسلم يقول كما في حديث عائشة (من التمس رضا الله بسخط الناس رضِي الله عنه وأرضى عنه الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس)[3]، فلا يتنازل المسلم عن شيء من حقوق الله عز وجل، ولذلك شرع الله الجهاد في سبيله وشرع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشرع الحدود على الجرائم ولم يأمر بالتسامح فيها، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: إنما أهلك من كان من قبلكم أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)[4]، فلا تسامح في حدود الله فالتسامح المطلوب هو التسامح فيما بين الناس في حقوقهم هم وكما ذكرنا وكما أنه ينكر على الغلاة والمتطرفين والمتشددين

---

[1]- سورة القلم، الآية ٩.

[2]- سورة الإسراء، الآيات ٧٣، ٧٤، ٧٥.

[3]- الموسوعة الحديثية، موقع الدرر السنية، في: https://www.dorar.net/hadith/sharh/٨٤٢٦٩

[4]- الموسوعة الحديثية، موقع الدرر السنية، في: https://dorar.net/hadith/sharh/٢٠٢٩

أيضا، ينكر مثل أو أشد من تساهل في أوامر الله ونواهيه وشريعته وبحجة التسامح يقولون الدين سمح نعم الدين سمح في تشريعاته وليس سمحا في أنك تتركه أو تترك شيئا منه.

شرّع الله عز وجل أحسن الشرائع وأكملها ولم يجعل فيها حرجاً علينا وشرّع الرخص عند الحاجة شرع لنا الإفطار في رمضان في السفر شرع لنا الإفطار في رمضان للمرض الذي يستدعي الإفطار بشرط أن نقضيه من أيام أخر شرع لنا قصر الصلاة الرباعية إلى ركعتين في السفر هذه السهولة والرخص الشرعية أما الرخص التي يريدها كثير من الجهال أو المغرضين اليوم فمعناها أنك تترك أوامر الله ونواهيه وتأخذ هواك وتتبع شهواتك أو تجاري الناس لئلا تغضب الناس فهذا يجب التنبه له فيجب أن تنتبه لهذا فنقول لا.

ومن أسس الوسطية اجتناب الفتن، والأخيرة على قسمين فتن الشبهات وهذه في العقيدة وفتن الشهوات وهذه في الأخلاق والسلوك والشيطان وأعوانه من شياطين الإنس والجن يروجون هذه الشبهات على الناس إما في عقيدتهم في الشبهات والتشكيك والإلحاد وإما في أخلاقهم وفي سلوكهم في اتباع الشهوات. قال تعالى: "يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم. والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما. يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا"[1].

يقول محمد الحبر يوسف: "والحق أن الوسطية في مفهوم الإسلام منهج أصيل ووصف جميل، ومفهوم جامع لمعاني العدل والخير والاستقامة، فهي حق بين باطلين واعتدال بين تطرفين وعدل بين ظلمين"[2].

ويقول الدكتور محمد عمارة الذي ينتمي للمدرسة الوسطية ويدعو إليها، فيقول عنها إنها "الوسطية الجامعة" التي تجمع بين عناصر الحق والعدل من الأقطاب المتقابلة فتكوّن موقفا جديدا مغايرًا

---

[1]- سورة النساء، الآيات ٢٦، ٢٧، ٢٨.

[2]- العمراني، عبد العزيز، الوسطية في كل شيء معجزة الخالق في الكون والحياة، E-kutub,Ltd، لندن، الطبعة الأولى، ٢٠١٨، ص ١٠.

للقطبين المختلفين ولكن المغايرة ليست تامة، فالعقلانية الإسلامية تجمع بين العقل والنقل، والإيمان الإسلامي يجمع بين الإيمان بعالم الغيب والإيمان بعالم الشهادة، والوسطية الإسلامية تعني ضرورة وضوح الرؤية باعتبار ذلك خصيصة مهمة من خصائص الأمة الإسلامية والفكر الإسلامي، بل هي منظار للرؤية وبدونه لا يمكن أن نبصر حقيقة الإسلام، وكأنها العدسة اللامعة للنظام الإسلامي والفكرية الإسلامية. والفقه الإسلامي وتطبيقاته فقه وسطي يجمع بين الشرعية الثابتة والواقع المتغير أو يجمع بين فقه الأحكام وبين فقه الواقع، ومن هنا فإن الله جعل وسطيتنا جعلا إلهيا[1]، نسبة لقوله عز وجل: "جعلناكم أمة وسطا"[2].

إن الحياة الهادئة لا تصلح بغير توسط في الأمور وإن التوفيق بين متطلبات الدين وشؤون الدنيا والمصالح العامة والخاصة أمر مرهون بتوافر القدرة على إنجاز المهام كلها. الوسطية تعني أيضا الاعتراف بحرية الآخرين ولا سيما الحرية الدينية، وذلك ما شرعه الإسلام في قوله تعالى: "لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغيّ"[3]. والوسطية جمع بين المادي والروحي وتلك ميزة الإسلام، ذلك أن للإنسان جسدا وروحا لقول الله تعالى: "وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين"[4].

لقد ظهر الإسلام لا روحياً مجردا، ولا جسديا جامدا، بل إنسانيا وسطا بين ذلك، يأخذ من كلٍ بنصيب، فتوافرت له من ملاءمة الفطرة البشرية ما لم يتوافر لغيره.. ولذلك سمي "دين الفطرة".

---

[1]- نشوان، حسين، محمد عمارة.. واجتهاد لم يغلق، موقع الجزيرة نت، ٢٩/ ١١/ ٢٠١٠، في: https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/٢٠١٠/١١/٢٩/%D٩٪٨٥٪D٨٪AD%D٩٪٨٥٪D٨٪AF-%D٨٪B٩٪D٩٪٨٥٪D٨٪A٧٪D٨٪B١٪D٨٪A٩-%D٩٪٨٨٪D٨٪A٧٪D٨٪AC%D٨٪AA%D٩٪٨٧٪D٨٪A٧٪D٨٪AF-%D٩٪٨٤٪D٩٪٨٢%D٩٪٨٤٪D٩٪٨٥-%D٩٪٨A%D٨٪BA%D٩٪٨٤٪D٩٪٨٢

[2]- سورة البقرة، الآية ١٤٣.

[3]- سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

[4]- سورة القصص، الآية ٧٧.

والوسطية اعتدال بين الإغراق في الدين أو الذوبان في الروحانيات أو الإقبال على الدنيا وشهوتها، وهي استواء واستقامة في الاعتقاد والسلوك والمعاملة والأخلاق وهذا يعني أن الإسلام بالذات دين معتدل غير جانح ولا مفرط في شيء من الحقائق فليس فيه مغالاة في الدين ولا تطرف ولا شذوذ في الاعتقاد ولا تهاون ولا تقصير ولا استكبار ولا خنوع أو ذل وخضوع وعبودية لغير الله، ولا تعصب ضد الآخرين ولا رفض لهم ولا إكراه أو إرهاب أو ترويع بغير حق كما لا إهمال في دعوة الناس الى دين التوحيد بالحكمة و الموعظة الحسنة وهو الدين الأيسر والأسهل، والأبعد عن الشدة والقسوة كما قال الحق سبحانه: "يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر"[1]، وقال أيضا: "وما جعل عليكم في الدين من حرج"[2].

فالناس جميعا خلق الله، واقتضت حكمة الله أن يكون فيهم المؤمن والكافر الشقي والبر، المحسن والمسيء، المؤمن والمنافق، العادل والظالم... وكل ذلك من مظاهر التكامل البشري. قال تعالى: ولو شاء ربك لآمن من في الأرض جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين"[3]، فالوسطية تعامل حر بريء من غير إضمار حقد أو شر؛ لذلك كان الجهاد في الإسلام يراد به الدفاع عن حرمات الإسلام والمسلمين ولا يقصد به حمل السيف بظلم ضد الآخرين أو قتل نفس بريئة أو ترويع الغير أو إجبار للدخول في الإسلام. وأطلق لقب الوسطية على المدرسة التي لا تغفل النصوص الجزئية من كتاب الله ومن صحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي ظهرت مقابل "المعطلة الجدد" الذين يزعمون أن الدين جوهر لا شكل، وحقيقة لا صورة، فيسرفون في تأويل آيات الكتاب على غير وجهها، وبين "الظاهرية الجدد" الذين يقفون عند ظواهر النصوص ويفهمونها فهما حرفيا بمعزل عن مقاصد الشرع وعلل الأحكام وحكمها. وهذه المدرسة هي التي تبنت ترشيد الصحوة الإسلامية، ودافعت ولا تزال تدافع في أوساط الشباب عن قيم الإسلام الثابتة.

---

[1]- سورة البقرة، الآية ١٨٥.

[2]- سورة الحج، الآية ٧٨.

[3]- سورة يونس، الآية ٩٩.

فالخطاب الإلهي خطاب ثابت في منطوقه، متحرك في دلالته، وبالتالي ضرورة إنتاج قراءة جديدة تنتقد شروط القراءة القديمة للخطاب الديني وتتوافق مع المتطلبات العصرية والحضارية. فمن تأمل المنهج الذي جاء به القرآن الكريم وتتبع أحكام الشريعة وما دعا إليه النبي صلى الله عليه وسلم في كل مجالات الحياة، يجد الاعتدال واضحا، فقد كان عليه الصلاة والسلام يتمثل الوسطية والاعتدال في شخصيته وسماته وأفعاله فكان حليمًا، لكن الحلم الذي لا يصل إلى الضعف، فإن تطلب الأمر قوة وشجاعة كان كذلك. وكان كريما سخيّا، لكن الكرم والسخاء لا يقوده إلى التبذير والإسراف وكان حييًّا شديد الحياء، لكن الحياء لا يمنعه من الجرأة في تعليم الناس أمور دينهم. وهكذا سائر الخصائص والسمات. وأخبر محمد صلى الله عليه وسلم أن الله بعثه بدين وسط، دين تتجلى فيه السماحة والاعتدال، لذا فقد قال عليه الصلاة والسلام: (إني بُعِثْتُ بالحنيفية السمحة)[1].

يقول الشيخ محمد عبده: "لقد ظهر الإسلام لا روحيا مجردا، ولا جسديا جامدا، بل إنسانيا وسطا بين ذلك، يأخذ من كلٍ بنصيب، فتوافرت له من ملاءمة الفطرة البشرية ما لم يتوافر لغيره.. ولذلك سمي: دين الفطرة"[2]، وتعد الوسطية في كل الأمور من أهم مزايا المنهج الإسلامي فليست معنى مجردا بل سلوكا ومعاملة ومنهجا فكريا ينبغي التعامل به، ولعلنا اليوم أحوج إليها من أي وقت آخر، ذلك أن التعصب والتطرف أبعد البعض عن فهم المعنى الحقيقي للإسلام.

وعموما، فلِلوسطية معاني تميز منهج الإسلام وأمة الإسلام، ومن أبرزها:

---

[1]- الموسوعة الحديثية، موقع الدرر السنية، في:

https://dorar.net/hadith/search?q=%D8%A8%D8%B9%D8%AB%D8%AA%20%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%A7%D8%B9%D8%A9%20&st=a&xclude=&rawi[]=٦٦١٧

[2]- صحيفة "الأيام"، ثقافة الوسطية والاعتدال، العدد ٩٩٣٨، الجمعة ٢٤ يونيو ٢٠١٦، في:

http://www.alayam.com/online/NA/٥٨٦٤٤٤/News.html

- العدل

فمن معاني الوسطية التي وصفت بها هذه الأمة في الآية الكريمة ورتبت عليها شهادتها على البشرية كلها: العدل، الذي هو ضرورة لقبول شهادة الشاهد، فما لم يكن عدلا، فإن شهادته مرفوضة مردودة، أما الشاهد العدل والحكم العدل فهو المرضي بين الناس كافة.

وتفسير الوسط في الآية بالعدل ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد روي الإمام أحمد والبخاري عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم فسر الوسط هنا بالعدل، والعدل والتوسط والتوازن عبارات متقاربة المعنى؛ فالعدل في الحقيقة توسط بين الطرفين المتنازعين أو الأطراف المتنازعة دون ميل أو تحيز إلى أحدهما أو أحدها. وهو بعبارة أخرى: موازنة بين هذه الأطراف؛ حيث يعطي كل منها حقه دون بخس ولا جور عليه، ولا محاباة له.

وقال المفسرون في قوله تعالى: "قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون"[1]، أي: أعدلهم، ويؤكد هذا الإمام الرازي في تفسيره بقوله: إن أعدل بقاع الشيء وسطه؛ لأن حكمه مع سائر أطرافه على سواء، وعلى اعتدال[2].

- الاستقامة

الوسطية تعني كذلك استقامة المنهج، والبعد عن الميل والانحراف. فالمنهج المستقيم وبتعبير القرآن: (الصراط المستقيم) هو – كما عبر أحد المفسرين – الطريق السوي الواقع وسط الطرق الجائرة عن القصد إلى الجوانب، فإذا فرضنا خطوطا كثيرة واصلة بين نقطتين متقابلتين؛ فالخط المستقيم إنما هو الخط الواقع في وسط تلك الخطوط المنحنية، ومن ضرورة كونه وسطا بين الطرق الجائرة أن تكون الأمة المهدية إليه وسطا بين الأمم السالكة إلى تلك الطرق الزائغة.

---

[1]- سورة القلم، الآية ٢٨.

[2]- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (تفسير الرازي)، الجزء ٤، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٩٨١، ص ١٠٧.

ومن هنا علم الإسلام المسلم أن يسأل الله الهداية للصراط المستقيم كل يوم ما لا يقل عن سبع عشرة مرة، هي عدد ركعات الصلوات الخمس المفروضة في اليوم والليلة. وذلك حين يقرأ فاتحة الكتاب في صلاته فيقول داعيا ربه: "اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين"[1].

- الأمان

كما أن الوسطية تمثل منطقة الأمان والبعد عن الخطر؛ فالأطراف عادة تتعرض للخطر والفساد أكثر من غيرها، بخلاف الوسط، فهو محمي ومحروس بما حوله. وكذلك شأن النظام الوسط، والمنهج الوسط، والأمة الوسط.

- القوة

الوسطية، أيضا، دليل القوة؛ فالوسط هو مركز القوة، ألا ترى الشباب الذي يمثل مرحلة القوة وسطا بين ضعفين: ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة؟! والشمس في وسط النهار أقوى منها في أول النهار وآخره؟!

- الخيرية

والمقصود بالخيرية، هنا، تحقيق الإيمان الشامل، يحوطه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

- الوسطية مركز الوحدة

الوسطية تمثل مركز الوحدة ونقطة التلاقي... فعلى حين تتعدد الأطراف تعددا قد لا يتناهى، يبقى الوسط واحدا، يمكن لكل الأطراف أن تلتقي عنده؛ فهو المنتصف، وهو المركز، وهذا واضح في الجانب المادي والجانب الفكري والمعنوي على سواء.

ومركز الدائرة في وسطها يمكن لكل الخطوط الآتية من المحيط أن تلتقي عنده، والفكرة الوسط يمكن أن تلتقي بها الأفكار المتطرفة في نقطة ما: هي نقطة التوازن والاعتدال، كما أن التعدد

---

[1]- سورة الفاتحة، الآيتان: ٦ – ٧.

والاختلاف الفكري يكون حتميا كلما وجد التطرف، وتكون حدته وشدته بقدر حدة هذا التطرف. أما التوسط والاعتدال فهو طريق الوحدة الفكرية ومركزها ومنبعها.

- البينية

إن إطلاق لفظ البينية يدل على وقوع شيء بين شيئين أو أشياء وقد يكون ذلك حسا ومعنى، فالبينية من لوازم وصفات الوسطية، وذلك واضح في كل أبواب الدين.

- اليسر ورفع الحرج

من المقاصد الشريعة وقواعدها الكلية، التيسير ورفع الحرج. قال تعالى: "وما جعل عليكم في الدين من حرج"[1].

- الحكمة

تحديد هذا التوسط يكون بمراعاة جميع الأطراف تحقيقا للمصالح ودرءا للمفاسد وهذه هي الحكمة الشرعية.

---

[1]- سورة الحج، الآية ٧٨.

ثانيا- مظاهر الوسطية في الإسلام

١- وسطية الإسلام في العقيدة

يتجلى ذلك في وضوح وجلاء أسس الإيمان وأركانه، حيث توصف هذه الأسس بأنها خالية من التعقيد، والطلاسم، والغموض، فدلائل وجود الله واضحة جليّة، وأصول الإيمان بوحدانية الله وربوبيته واضحة كذلك.

الوسطية من أبرز ملامح العقيدة الإسلامية؛ إذ هي موافقة للحق، ومؤيدة بالحق، وهي مناسبة للفطرة، لا إفراط فيها ولا تفريط، فالعقيدة الإسلامية متوسطة بين إفراط النصارى وتفريط اليهود، وبين غلوِّ النصارى في المسيح وتطرف اليهود في عصيان أنبيائهم، وتنطعِهم في السؤال والجدال؛ وتتجلى وسطية الأمة المحمدية في نواح شتى من مسائل الاعتقاد[١]، وقد ركزتُ على عنصرين من عناصرها، وهما:

- **الوسطية في الإيمان:** فالنبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه المؤمنون يؤمنون بجميع الرسل والكتب المنزلة؛ كما أخبر الله تعالى عنهم في كتابه العزيز: "آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير"[٢].

وهذا الموقف الوسطي من الأنبياء ليس رد فعل لموقفِ كلٍّ من اليهود أو النصارى، وإنما هو موقف مستقل ابتداء يتناسب مع الحق المطلق الذي آمن به المؤمنون بصرف النظر عمن اعتنقه أو من لم يعتنقه.

- **الوسطية في النبوة:** المؤمنون المنتسبون لهذه الأمة المحمدية يؤمنون برسل الله جميعِهم، ويوقّرونهم، ويُحبُّونهم ويُوالونهم، ولم يعبدوهم من دون الله، ولم يتَّخذوهم أربابا من دون الله تعالى، فهم بذلك وسط في جانب النبوة بين إفراط اليهود وتفريط النصارى. وفيه عدَّة أحاديث:

---

[١]- بلال، عبد الحكيم بن محمد، الوسطية من أبرز خصائص الأمة، مجلة البيان، عدد: ١١٤، صفر ١٤١٨هـ ص ٨٤.

[٢]- سورة البقرة، الآية ٢٨٥.

* عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول – على المنبر: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تطرُوني كما أطْرت النصارى ابنَ مريم إنما أنا عبدٌ فقولوا عبد الله ورسوله)[1].

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ أنّ أناسا جاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول اللهَّ يا خيرنا وابن خيرنا سيدنا وابن سيدنا فقال: يا أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينَّكم الشيطانُ أنا محمد عبدُ اللهّ ورسوله ما أُحبُّ أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني اللهُّ عز وجل[2]، ومثل هذه الأحاديث النبوية تؤكد بأن دين الله تعالى بين الغالي فيه والجافي عنه؛ فإن النصارى: عظَّموا الأنبياء حتى عبدوهم، وعبدوا تماثيلهم، واليهود: استخفُّوا بهم حتى قتلوهم، والأُمَّة الوسط عرفوا مقاديرهم، فلم يغلوا فيهم غُلُوَّ النصارى، ولم يجفوا عنهم جفاءَ اليهود.

* عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يحمِل هذا العلمَ من كلِّ خلَفٍ عدولُه ينفونَ عنه تحريفَ الغالينَ وانتحالَ المبطلين وتأويلَ الجاهلين"[3]. والعدول، مفردها عدل، ومن معاني العدل في اللغة: الوسط والتوسط، وأعدل الشيء: أوسطه ووسطه. ومن هنا جاء مدح النبيِّ صلى الله عليه وسلم لأهل العلم العدول؛ أصحاب المنهج الوسط، الذي لا إفراط في منهجهم ولا تفريط.

وأخطر ما يكون الغلو والتأويل والانتحال في العقائد والتصورات؛ لأن فساد العقيدة يؤدي إلى فساد التفكير، ومنه فساد العمل، وقد ظهرت – داخل الأمة الإسلامية بعض الفرق انحرفت عن جادة الصواب، وانحرف بها المسار من الطريق الوسط والعدل إلى ذات اليمين وذات الشمال؛ فغلت في الأسماء والصفات بين التعطيل والتمثيل، وبعضها غلت في الصحابة ففضَّلوا البعض، وكفَّروا

---

[1]- الموسوعة الحديثية، موقع الدرر السنية، في: https://www.dorar.net/hadith/sharh/٧٦٤١٠

[2]- الموسوعة الحديثية، موقع الدرر السنية، في: https://dorar.net/hadith/sharh/١١٤٥٦٢

[3]- الموسوعة الحديثية، موقع الدرر السنية، في: https://www.dorar.net/hadith/sharh/١٣٨٩٤٥

آخرين، وبعضها تركت العمل واعتمدت على التوكل، وبعضها فعل العكس، وبعضها فصلت الدين عن الحياة[1].

وقد جعل الله هذه الأمة هي الأمة الوسط في جميع أبواب الدِّين، فإذا انحرف غيرُها من الأمم إلى أحد الطرفين كانت هي في الوسط، كما كانت وسطا في باب أسماء الرب تعالى وصفاته بين الجهمية والمُعطلة والمُشبهة المُمثلة، وكانت وسطا في باب الإيمان بالرسل بين من عبَدهم، وأشركهم بالله؛ كالنصارى، وبين من قتلهم، وكذَّبهم، فآمَنوا بهم وصَدَّقوهم وتركوهم من العبودية، وكانت وسطا في القدر بين الجبرية... وبين القدرية... وكذلك هم وسطٌ في المطاعم والمشارب بين اليهود؛ الذين حُرِّمَت عليهم الطيبات عقوبةً لهم، وبين النصارى؛ الذين يستحِلُّون الخبائث... فأحل الله لهذه الأمة الوسط الطيبات وحرم عليهم الخبائث. وكذلك لا تجد أهلَ الحق دائما إلا وسطا بين طرفي الباطل.

٢- وسطية الإسلام في الشريعة

من أبرز سمات الشريعة الإسلامية الوسطية في العبادات والطاعات، فالمتأمل في النصوص – قوليةً وفعليةً – يلحظ أنها مليئة بالمنهج الوسط وذلك في نواحٍ شتَّى، ومن أهمها:

– الوسطية والاعتدال في أداء العبادات: نلمس هذا في مواضع لا تكاد تحصى من سيرته عليه الصلاة والسلام، وثبت أنه (ما خُيِّرَ بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثما)[2]، وقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه: (أنه جاء ثلاثة رهط إلى بيوت النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته، فلما أخبروا بها كأنهم تقالُّوها، وقالوا: أين نحن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غُفِر له ما تقدم

---

[1]– حسين، عقيلة، الوسطية في السنة النبوية ؛ دارسة تأصيلية مصطلحية، دار ابن حزم، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١١، ص ٢٠٨.

[2]– موسوعة الأخلاق، موقع الدرر السنية، في:

https://www.dorar.net/akhlaq/١٧٦٦/%D٨٪AB%D٨٪A٧٪D٩٪٨٦٪D٩٪٨A%D٨٪A٧:-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪A٧٪D٩٪٨٦٪D٨٪AA%D٩٪٨٢٪D٨٪A٧٪D٩٪٨٥-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪B٣٪D٩٪٨٦٪D٨٪A٩-%D٩٪٨١٪D٩٪٨A-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪B٣٪D٩٪٨٦٪D٨٪A٩-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨٦٪D٨٪A٨٪D٩٪٨٨٪D٩٪٨A%D٨٪A٩%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨٦٪D٨٪A٨٪D٩٪٨٨٪D٩٪٨A%D٨٪A٩

من ذنبه وما تأخر؟! فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدا، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الثالث: وأنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟! أما والله، إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[1].

إن الذي دعا هؤلاء الصحابة الكرام رضي الله عنهم إلى الاستكثار من العمل الصالح هو ظنُّهم أنّ الله تعالى غفر لنبيه الكريم ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وفي مقابل ذلك ليس عندهم كثير عمل، فشدَّدوا على أنفسهم في العبادة؛ متأوِّلين بأنهم سَيُدركون السُّنة، فإذا بهم يجانبون سُنَّةَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ويخرجون عن الوسطية والتوازن في حياتهم. ولذا جاءهم التوجيه الكريم: (إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له).

- الوسطية في تطبيق العبادات، والتحذير من الغلو في الدِّين: وفي ذلك عدة أحاديث، منها:

* عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم غداةَ جمعٍ: هلُمَّ الْقُطْ لي فلقطتُ له حصياتٍ من حصى الخذفِ فلما وضعتُهُنَّ في يده قال: نعم بأمثال هؤلاء وإيَّاكم والغلوَّ في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين)[2].

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وحبل ممدود بين ساريتين فقال: ما هذا ؟ قالوا: لزينبَ تُصلِّي فإذا كسِلت أو فترَت أمسكت به، قال: حُلُّوه ثمَّ قال: ليُصَلِّ أحدُكم نشاطَه فإذا كسِل أو فترَ فليقعُدْ)[3].

---

[1]- الموسوعة الحديثية، موقع الدرر السنية، في: https://dorar.net/hadith/sharh/٦٤١٨٨

[2]- الموسوعة الحديثية، موقع الدرر السنية، في: https://www.dorar.net/hadith/sharh/٨١٨٤١

[3]- الموسوعة الحديثية، موقع الدرر السنية ، في: https://dorar.net/hadith/sharh/٩٦١٩

– الوسطية في أماكن العبادات: كانت الأمم المتقدمة لا يصلون إلا في كنائسهم وبِيَعِهم؛ كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في قوله: (وجعلت لي الأرض مساجد وطهورا، أينما أدركتني الصلاة تمسحت وصلّيت، وكان من قبلي يعظّمون ذلك، إنما كانوا يصلون في كنائسهم وبِيعهم)[1].

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أُعطيتُ خمسا لم يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قبلي) وذكر منها: (وجُعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، أينما أدركتني الصلاة؛ فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أمتي أدركته الصلاة فَلْيُصَلِّ)[2].

وهذه الوسطية في العبادة في كلِّ جوانبها مما رغَّب المسلمين في إسلامهم؛ إذ دَفَع عنهم الملَلَ، ووافق الفطرةَ والطَّبعَ السهل المُيسَّر، والنَّفسُ تهوى ما كان سهلاً مُيسَّراً، وتمقتُ ما كان صعباً مُتكلَّفاً، وهذا وجهٌ من وجوه عظمةِ السنة، وهو موافقتُها الفطرةَ، ومراعاتها الطَّبعَ والجبلَّة، فأين لها ذلك، والنبيُّ أُمِّي لا يقرأ ولا يكتب، ولم يطَّلع على علم النفس؟! لا سبيلَ إلا أن ذلك كلَّه من لدن حكيم خبير، وهو ربُّ العالمين.

– الوسطية في التشريعات المتعلقة بالجنايات ونظام العُقوبات: وذلك – مثلا – من خلال التخيير في عقوبة القتل بين القَصاص، والعفو، والدِّية، فشَمل على العقوبات جميعها، وترك حرية الاختيار فيها لأهل القتيل؛ لئلا يرغم على عقوبة واحدة.

– الوسطية في النظام الاقتصادي؛ إذ أنه فتح باب التملك والبُيوع والمُعاملات أمام الناس؛ لإشباع شَهوة التَّملك لديهم ولتَيسير شؤون حياتهم؛ فأثبت بذلك الملكية الشَّخصية ونَسب المال لصاحبه، كما في قوله تعالى: "وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا"[3]، ولكنه جعل هذه المعاملات منضبطة بشرع الله تعالى، وبعدم الإضرار بالصالح

---

[1]– الموسوعة الحديثية، موقع الدرر السنية، في: https://dorar.net/hadith/sharh/٧٦٥٣٩

[2]– الموسوعة الحديثية، موقع الدرر السنية، في: https://dorar.net/hadith/sharh/١٥٧٨١

[3]– سورة النساء، الآية ٢.

العام، فكان الإسلام بذلك وسطا بين النظام الاشتراكي الذي يمنع الملكية الشخصية، وبين النظام الرأسمالي الذي يحصر الثروات بيد طبقة محدودة من الناس[1].

٣- وسطية الإسلام في الأخلاق والمعاملات

تمثل الأخلاق هنا الجانب السلوكي التطبيقي الذي يظهر خلال المعاملات بين الناس، فعماده التوسط في الإنفاق بين الإسراف والتقتير، والوسطية بين القضاء والاقتضاء، وغيرها من الأمور.

توسطت الشريعة الإسلامية في شأن المعاملات؛ سواء كانت عقودا مالية أو أنكحة، أو أحكاما وأقضية، أو غيرها مما يتعامل فيه الناس مع بعضهم البعض، وسوف نقتصر هنا على بعض أحكام العلاقات الأُسرية بإيجاز شديد؛ للتدليل على هذه الوسطية، ومن أمثلة ذلك:

- **الوسطية في التعامل مع الحائض:** جاءت الشريعة الإسلامية بالوسطية في التعامل مع الحائض بين إفراط اليهود؛ الذين يحرِّمون السكن مع الحائض والتعامل معها، وبين تفريطِ النصارى؛ الذين يبيحون وَطْأَها في تلك الحال، عن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ أن اليهود كانوا إذا حَاضَتْ المرأة فيهم لم يُؤَاكِلوها، ولم يُجَامِعُوهُنَّ في البيوت، فسأل أصحاب النبيِّ صلى الله عليه وسلم النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى: "ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا الناس في المحيض"[2]، فقال رسولُ اللهِّ صلى الله عليه وسلم: (اصنعوا كلَّ شيء إلا النكاح)[3]، فَبَلَغَ ذلك اليهود، فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه.

والقصد: هو التوسط بين الإفراط والتفريط، الموافقُ للحق، والبعيد عن التأثر بموقف هؤلاء أو هؤلاء، إذ لا اعتبار لموقفهم في التشريع؛ لأن التشريع الإسلامي لا يأتي ردّة لفعلٍ معاكس أو مُغاير، وإنما هو الحكمة والتبصر بعينها.

---

[1]- تُنظر: الزحيلي، وهبة مصطفى، وسطية الإسلام وسماحته، منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، ص ٨ – ١١.

[2]- سورة البقرة، الآية ٢٢٢.

[3]- الموسوعة الحديثية، موقع الدرر السنية، في: https://www.dorar.net/hadith/sharh/٣٣٢٥٣

- **الوسطية في الزواج:** الشريعة الإسلامية جاءت بالوسطية في شأن الزواج؛ بمراعاتها مصالح العباد في تشريعه، والفطرة البشرية، والتوازن النفسي والاجتماعي، والزواج ميثاق غليظ، مؤكَّد عليه في الشريعة، وتترتب عليه حقوق وواجبات وشروط وأحكام؛ من مرحلة الخِطبة ومرورا بالعقد إلى العشرة الزوجية، وأحكام الزواج وشروطه وأركانه وواجباته وآدابه فيها من الاعتدال والوسطية الشيء الكثير؛ لذا جعله النبي صلى الله عليه وسلم من سنته المباركة، وأنكر على الرجل الذي لا يُريد الزواج بحجة العبادة، قائلاً له: (إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[1]. ويكفي أنّ نعلم أن العزوف عن الزواج هو من فعل بعض رهبان النصارى وبعض طوائفهم الغلاة الذين يفضِّلون التَّبتُّل على الزواج، ويُحرِّمون الطلاق بعد الزواج، فيضيِّقوا على الناس بذلك، ويُوقعوهم في الحرج.

- **الوسطية في الطلاق:** جاءت الشريعة الإسلامية بالوسطية في تشريع الطلاق والذي يُعتبر أكثر واقعية واستيعاباً لمشاكل المرأة والرجل على حدٍّ سواء، ولو جوَّز الشرع الطلاق من غير حصرٍ لعظم الإضرار بالنساء، ولو قصر على مرة واحدة، لتضرّر الرجال، فإن الندم يلحق المُطلِّق بعد انقضاء العدة في كثير من الأحوال؛ كما شُرِعت الرَّجعة أثناء العدة، أو بعدها، من طلقةٍ واحدة، أو طلقتين، لما في ذلك من الحِفاظ على مصلحة الأسرة، ورفعِ الحرج بهذه الوسطية الواقعية المُراعيةِ لمصالح الأنام.

- **الوسطية في الإنفاق:** تقع تكاليف الشرع وسطا بين طرفين مذمومين، هما: الغلو والإفراط يجب الابتعاد عنه، والحذر من سبيله، قال الله تعالى: "ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا"[2].

لقد كانت هذه الوسطية في المعاملات من أهم أسباب التيسير والتسهيل على الناس أمور حياتهم ومعيشتِهم بما يحقق لهم استقرارا نفسيا وتوازنا روحيا، جعل المسلمين أكثر تمسكا بدينهم وعقيدتهم من غيرهم، والواقع يشهد بذلك، والفرق واضحا؛ بين تمسك المسلمين بدينهم؛ عقيدةً وعبادةً ومعاملة

---

[1]- الموسوعة الحديثية، موقع الدرر السنية، في: https://dorar.net/hadith/sharh/٦٤١٨٨

[2]- سورة الإسراء، الآية ٢٩.

وبين غيرهم الذين فرَّطوا في عقيدتهم، وتركوا عباداتهم، وتخلَّوا عن التعامل بمقتضى دينهم، وليس مرجع ذلك إلا إلى تلك الوسطية التي اتّسمت بها الشريعة الإسلامية.

٤- الوسطية في منهج الدعوة

يقوم منهج الدعوة في الإسلام على مخاطبة الآخر بالحكمة والموعظة الحسنة، وعلى جداله بالتي هي أحسن، وباللين والرفق من غير ضعف؛ لإقامة الحجة على المخالف، وإقناعه بالتي هي أحسن، وتعتبر وسطية المسلم في كل المظاهر التي ذكرناها سالفا (الوسطية في العقيدة – الوسطية في الشريعة – الوسطية في الأخلاق والمعاملات) في حد ذاتها دعوة؛ لأنها تقدم المثال والنموذج القويم للآخر غير المسلم.

ثالثا- ضوابط الوسطية

من خلال مطالعة أقوال الفقهاء والمفكرين الإسلاميين الذين كتبوا في هذا الشأن، يمكن إجمال هذه الضوابط كما يلي:

* الإلمام بالكتاب والسنة، وبمنهج السلف، والعلم بمقاصد الشريعة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والجهل والظلم هما أصل كل شر، كما قال تعالى: «وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا»[1]"[2]. وقال عليه الصلاة والسلام: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلّوا وأضلّوا)[3]، والحديث يشير بأن انتشار الجهل بين الناس ينتج غياب الوسطية وما يحدثه من آثار وخيمة في المجتمع المسلم.

* اجتناب البدع: وهي تلك التي لم يدل عليها دليل شرعي لا من كتاب ولا من سنة ولا إجماع ولا استدلال معتبر عند أهل العلم لا في الجملة ولا في التفصيل والبدعة ضلال عن الحق يهدي إلى النار يجب تركها قال تعالى: "فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنّى تُصرفون"[4]، فثبتت خطورة الابتداع في الدين، إذ أن له في الدين آثار عظيمة، ومخاطر جسيمة؛ تعود على الفرد، بل المجتمع كله.

* اتخاذ موقع وسط بين طرفين مذمومين، هما الإفراط والتفريط.

* الملاءمة بين ثوابت الشرع ومتغيرات العصر.

---

[1]- سورة الأحزاب، الآية ٧٢.

[2]- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، اقتضاء الصراط المستقيم، الجزء الأول، تحقيق د. ناصر عبد الكريم العقل، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ ص ١٢٨.

[3]- البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، الجزء الأول، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ رقم الحديث ١٠٠.

[4]- مسلم، أبو الحسين بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، الجزء ٣، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ص ١٥٣.

* فهم النصوص الجزئية للقرآن والسنة في ضوء مقاصدها الكلية.

* التيسير في الفتوى، والتبشير في الدعوة.

* التشديد في الأصول والكليات، والتيسير في الفروع والجزئيات.

* الثبات في الأهداف، والمرونة في الوسائل.

* الحرص على الجوهر قبل الشكل، وعلى الباطن قبل الظاهر، وعلى أعمال القلوب قبل أعمال الجوارح.

* الفهم التكاملي للإسلام بوصفه: عقيدة وشريعة، دنيا ودينا، ودعوة ودولة.

* دعوة المسلمين بالحكمة، وحوار الآخرين بالحسنى.

* الجمع بين الولاء للمؤمنين، والتسامح مع المخالفين.

* الجهاد والإعداد للمعتدين، والمسالمة لمن جنحوا للسلم.

* التعاون بين الفئات الإسلامية في المتفق عليه، والتسامح في المختلف فيه.

* ملاحظة تغير أثر الزمان والمكان والإنسان في الفتوى والدعوة والتعليم والقضاء.

* اتخاذ منهج التدرج الحكيم في الدعوة والتعليم والإفتاء والتغيير.

* الجمع بين العلم والإيمان، وبين الإبداع المادي والسمو الروحي، وبين القوة الاقتصادية، والقوة الأخلاقية.

* التركيز على المبادئ والقيم الإنسانية والاجتماعية، كالعدل والشورى والحرية وحقوق الإنسان.

* تحرير المرأة من رواسب عصور التخلف، ومن آثار الغزو الحضاري الغربي.

* الدعوة إلى تجديد الدين من داخله، وإحياء فريضة الاجتهاد من أهله في محله.

* الحرص على البناء لا الهدم، وعلى الجمع لا التفريق، وعلى القرب لا المباعدة.

* الاستفادة بأفضل ما في تراثنا كله: من عقلانية المتكلمين، وروحانية المتصوفين، واتباع الأثريين، وانضباط الفقهاء والأصوليين.

* الجمع بين استلهام الماضي، ومعايشة الحاضر، واستشراف المستقبل.

خاتمة

إن الإسلام دين وسطي، ويُستدل على وسطيته من خلال النظر في عقائده، ومبادئه، وأصوله العلمية، وأخلاقه، وعباداته، وشرائعه، وأحكامه؛ أي أنَّ الاعتدال والوسطية سمة بارزة لكل ما له علاقة بدين الإسلام.

الوسطية حق وعدل وخير ومطلب شرعي أصيل ومقصد أسمى ومظهر حضاري رفيع، فهي أفضل الأمور وأنفعها للناس، كما أنها الاعتدال في كل أمور الحياة ومنهجها.

المصادر والمراجع

١- المصادر

- القرآن الكريم.

- البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، الجزء الأول، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، اقتضاء الصراط المستقيم، الجزء الأول، تحقيق د. ناصر عبد الكريم العقل ، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (تفسير الرازي)، الجزء ٤، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٩٨١.

- مسلم، أبو الحسين بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم ، الجزء ٣، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية.

- الموسوعة الحديثية، موقع الدرر السنية، في:

https://www.dorar.net/hadith/sharh/٨٤٢٦٩

- الموسوعة الحديثية، موقع الدرر السنية، في:

https://dorar.net/hadith/sharh/٢٠٢٩

- الموسوعة الحديثية، موقع الدرر السنية، في:

https://dorar.net/hadith/search?q=%D٨٪A٨٪D٨٪B٩٪D٨٪AB%D٨٪AA٪٢٠٪D٩٪٨٨٪D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪B٣٪D٨٪A٧٪D٨٪B٩٪D٨٪A٩٪٢٠&st=a&xclude=&rawi[]=٦٦١٧

- الموسوعة الحديثية، موقع الدرر السنية، في:

https://www.dorar.net/hadith/sharh/٧٦٤١٠

- الموسوعة الحديثية، موقع الدرر السنية، في:

https://dorar.net/hadith/sharh/١١٤٥٦٢

- الموسوعة الحديثية، موقع الدرر السنية، في:

https://www.dorar.net/hadith/sharh/١٣٨٩٤٥

- الموسوعة الحديثية، موقع الدرر السنية، في:
https://dorar.net/hadith/sharh/٦٤١٨٨
- الموسوعة الحديثية، موقع الدرر السنية، في:
https://www.dorar.net/hadith/sharh/٨١٨٤١
- الموسوعة الحديثية، موقع الدرر السنية ، في:
https://dorar.net/hadith/sharh/٩٦١٩
- الموسوعة الحديثية، موقع الدرر السنية، في:
https://dorar.net/hadith/sharh/٧٦٥٣٩
- الموسوعة الحديثية، موقع الدرر السنية، في:
https://dorar.net/hadith/sharh/١٥٧٨١
- الموسوعة الحديثية، موقع الدرر السنية، في:
https://www.dorar.net/hadith/sharh/٣٣٢٥٣
- موسوعة الأخلاق، موقع الدرر السنية، في:
https://www.dorar.net/akhlaq/١٧٦٦/%D٨٪AB%D٨٪A٧٪D٩٪٨٦-%D٩٪٨A%D٨٪A٧:-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪A٧٪D٩٪٨٦٪D٨٪AA%D٩٪٨٢٪D٨٪A٧٪D٩٪٨٥-%D٩٪٨١٪D٩٪٨A-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪B٣٪D٩٪٨٦٪D٨٪A٩-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨٦٪D٨٪A٨٪D٩٪٨٨٪D٩٪٨A%D٨٪A٩

٢- المراجع

- بلال، عبد الحكيم بن محمد، الوسطية من أبرز خصائص الأمة، مجلة البيان، عدد: ١١٤، صفر ١٤١٨هـ

- حسين، عقيلة، الوسطية في السنة النبوية؛ دارسة تأصيلية مصطلحية، دار ابن حزم، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١١.

- الزحيلي، وهبة مصطفى، وسطية الإسلام وسماحته، منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية، بدون بيانات.

- الشرباصي، أحمد، موسوعة الأخلاق، الجزء الثاني، دار الرائد العربي، بيروت، د. ت.

- صحيفة "الأيام"، ثقافة الوسطية والاعتدال، العدد ٩٩٣٨، الجمعة ٢٤ يونيو ٢٠١٦، في:
http://www.alayam.com/online/NA/٥٨٦٤٤٤/News.html

- العمراني، عبد العزيز، الوسطية في كل شيء معجزة الخالق في الكون والحياة، E-kutub,Ltd، لندن، الطبعة الأولى، ٢٠١٨.

- نشوان، حسين، محمد عمارة.. واجتهاد لم يغلق، موقع الجزيرة نت، ٢٩/ ١١/ ٢٠١٠، في:
https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/٢٠١٠/١١/٢٩/%D٩٪٨٥٪D٨٪AD%D٩٪٨٥٪D٨٪AF-%D٨٪B٩٪D٩٪٨٥٪D٨٪A٧٪D٨٪B١٪D٨٪A٩-%D٩٪٨٨٪D٨٪A٧٪D٨٪AC%D٨٪AA%D٩٪٨٧٪D٨٪A٧٪D٨٪AF-%D٩٪٨٤٪D٩٪٨٥-%D٩٪٨A%D٨٪BA%D٩٪٨٤٪D٩٪٨٢